

## سِفْرُ أَيُّوبَ

### المحاضرة ٨: سيادة الله

#### ديريك توماس

مَرَحَبًا، نَحْنُ الْآنَ بَلَّغْنَا الْمُحَاضِرَةَ ٨، وَسَنَتَنَاوَلُ فِيهَا الْأَصْحَاحَاتِ مِنْ ٣٢ إِلَى ٣٧ مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ. وَفِيهَا سَنَتَعَرَّفُ عَلَى شَخْصِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، هُوَ أَلِيهُو [أ-لي-هُو]. الْبَعْضُ يَنْطِقُونَ اسْمَهُ إِيلَايُهُو (إي-لأي-هُو). فَطَالَمَا نَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّخْصِ عَيْنِهِ، فَأَنَا سَأَنْطِقُ اسْمَهُ "أَلِيهُو [أ-لي-هُو]". فَالْأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةُ، صُوفَرُ وَبِلْدُ وَالثَّالِثُ الَّذِينَ لَمْ تُجِدْ مُوَأَسَاتُهُمْ نَفْعًا. فَقَدْ تَرَكَ الْأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةَ، أَلِيْفَارُ وَبِلْدُ وَصُوفَرُ الْمَشْهَدَ، وَظَهَرَ صَدِيقٌ جَدِيدٌ شَابٌّ فِي الْمَشْهَدِ. لَقَدْ كَانَ جَالِسًا مَعَهُمْ. وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى مُوَأَسَاةِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ. نَعْرِفُ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٢ أَنَّ الرِّجَالَ الثَّلَاثَةَ أَوْ الْأَصْدِقَاءَ الثَّلَاثَةَ:

كَفُّوا عَنِ مَجَاوَبَةِ أَيُّوبَ لِكَوْنِهِ بَارًّا فِي عَيْنِي نَفْسِهِ. فَحَمِي غَضِبُ أَلِيهُو بْنِ بَرَخِيئِيلَ الْبُورِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَامٍ. عَلَى أَيُّوبَ حَمِي غَضِبُهُ لِأَنَّهُ حَسِبَ نَفْسَهُ أَبْرَّ مِنَ اللَّهِ. وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلَاثَةِ حَمِي غَضِبُهُ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَابًا وَاسْتَدْنَبُوا أَيُّوبَ.

يَا لَهُ مِنْ غَضَبٍ شَدِيدٍ هُنَا. كَمَا أَنَّ الْعَضَبَ فِي الْعَالِبِ لَيْسَ الشُّعُورَ اللَّائِقَ لِتَعَزِيَةِ شَخْصٍ مِثْلِ أَيُّوبَ. لِذَا فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ يَنْبَغِي وَضْعُهَا فِي الْحُسْبَانِ. الْآنَ، مَا الَّذِي يَنْبَغِي لِأَلِيهُو التَّفَوُّهُ بِهِ؟ لَطَالَمَا اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ وَانْقَسَمُوا حَوْلَ أَلِيهُو. فَبَعْضُهُمْ أَرَاؤُهُ مِنَ الْمَشْهَدِ كَلِيًّا. وَبَعْضُ الْآخَرِ قَالُوا إِنَّ الْأَمْرَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ. إِذْ يَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنَ الصَّخْبِ. فَقَدْ دَخَلَ الْمَشْهَدَ مَتِّهِمَا الْأَصْدِقَاءُ الثَّلَاثَةَ بِإِخْفَاقِهِمْ فِي قَوْلِ أَيِّ شَيْءٍ صَالِحٍ، وَلَا مَ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ هُوَ أَيُّضًا. فَحَدِيثُ أَلِيهُو مُحَرَّدٌ تَكَرَّرَ لِوُجْهِهِ النَّظَرِ عَيْنِهَا الَّتِي تَقُولُ إِنَّ الْأَلَمَ عِقَابٌ؛ وَيَأَنَّ هَذَا الْعِقَابَ هُوَ حَصَادُ مَا قَدْ زَرَعْتَهُ، لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ. إِنَّمَا مُفَسِّرُونَ آخَرُونَ قَالُوا إِنَّ أَلِيهُو، فِي الْوَاقِعِ، يَقُولُ شَيْئًا جَدِيدًا تَمَامًا. وَهَذَا آخَرُونَ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ جُونَ كَالْفِنِّ مِثَالُ عَنَّهُمْ، فَقَدْ رَأَى جُونُ كَالْفِنِّ فِي أَلِيهُو الْجَوَابَ عَنِ مُشْكَلَةِ الْأَلَمِ. دَعُونَا نُصِغُهَا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: إِنَّ جُونَ كَالْفِنِّ هُوَ أَلِيهُو. مِنْ حَيْثُ الْمَنْظُورُ الَّذِي فَهَمَ بِهِ سِفْرُ أَيُّوبَ؛ لَقَدْ فَهَمَهُ مِنْ خِلَالِ مَنْظُورِ أَلِيهُو. وَمُفَسِّرُونَ آخَرُونَ وَقَفُوا فِي الْوَسْطِ قَائِلِينَ بِأَنَّ أَلِيهُو بَدَأَ حَدِيثَهُ جَيِّدًا، لَكِنَّهُ أَنهَاءَ عَلَى نَحْوِ سَيِّئٍ؛ وَأَعْتَقِدُ أَنِّي أَمِيلُ لِهَذَا الرَّأْيِ. أَعْتَقِدُ أَنَّ أَلِيهُو بَدَأَ بِدَايَةِ حَسَنَةٍ، لَكِنَّهُ أَنهَى حَدِيثَهُ عَلَى نَحْوِ سَيِّئٍ. إِذْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى تَكَرَّرِ وُجْهِهِ نَظَرَ أَصْدِقَاءِ أَيُّوبَ الثَّلَاثَةِ فِي الْأَصْحَاحَاتِ السَّابِقَةِ.

إِنَّ الْأَصْحَاحَاتِ السِّتَّةَ، مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٢ إِلَى الْأَصْحَاحِ ٣٧، تَضُمُّ ٤ حُطْبٍ أَلْقَاهَا إِلَيْهِ. وَهِيَ حُطْبٌ فِي مُجْمَلِهَا تَلْخِصُ لِمُوسَاةِ أَيُّوبَ عَنِ مُشْكَلَتِهِ، مُشْكَلَةَ الْأَلَمِ. فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ نُفَكِّرَ فِيهَا بِنَبْغِي لِأَلَيْهِ أَنْ يَقُولَهُ. تَحْمِلُ مُشَارَكَتَهُ آيَةً أَوْ آيَتَيْنِ جَوْهَرِيَّتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ اخْتِيَارُ آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَعَيْنِهَا مِنْ مُشَارَكَةِ إِلَيْهِ، سَتَكُونُ الْآيَةُ ١٢ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٤ الَّتِي فِيهَا يَقُولُ: "فَحَقًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ سُوءًا، وَالْقَدِيرُ لَا يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ". فَمَهْمَا كَانَ الْجَوَابُ عَنِ مُشْكَلَةِ الْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَلَى حِسَابِ شَخْصِ اللَّهِ. يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حِسَابِ عَدْلِ اللَّهِ أَوْ نَزَاهَةِ اللَّهِ أَوْ عَلَى حِسَابِ بَرِّ اللَّهِ. فَهُوَ حَتَّى وَإِنْ كَانَ لِهَذَا الْعَرَضِ عَيْنِهِ، لَنْ يُعَوِّجَ اللَّهُ الْكُونَ وَيُعِيدَ تَشْكِيلَهُ لِمَجْرَدِ أَنْ يَتَأَقْلَمَ مَعَ دَعْوَى أَيُّوبَ هَذِهِ. بَلْ يَجِبُ عَلَى أَيُّوبَ نَفْسِهِ أَنْ يَخْضَعَ لِشَخْصِ اللَّهِ. لِيَا، فَهَذَا حَقٌّ. إِنَّهُ حَقٌّ لَا يَقْبَلُ الْبِقَاشَ. إِنَّهُ حَقٌّ لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهُ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ فِي سَبِيلِ فَهْمٍ مَا يَحْدُثُ مَعَ أَيُّوبَ. "فَحَقًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ سُوءًا". إِنَّهَا شَخْصِيَّةُ اللَّهِ، وَهِيَ ذَاتُ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ مَحَبَّةَ اللَّهِ. اللَّهُ لَا يَفْعَلُ الشَّرَّ. إِنَّ الْإِجَابَةَ عَنِ مُشْكَلَةِ الْأَلَمِ لَيْسَتْ الْإِجَابَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ ذُو سِيَادَةٍ لِكِنَّهُ لَيْسَ صَالِحًا؛ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ صَالِحًا. هَذَا هُوَ جَوْهَرُ الْإِسْلَامِ. اللَّهُ مُتَسَيِّدٌ، مَشِيئَةُ اللَّهِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، لَكِنَّ الصَّلَاحَ صِفَةً زَائِدَةٌ ثَانَوِيَّةٌ ضَمَّنَ هَذِهِ السِّيَادَةَ. فَاللَّهُ مُتَسَلِّطٌ، لَكِنَّ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ صَالِحٌ. كَلَّا، اللَّهُ لَا يَفْعَلُ شَرًّا. اللَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَفْتَرِفَ إِثْمًا. كُلُّ شَيْءٍ يَصْنَعُهُ اللَّهُ، هُوَ يَصْنَعُهُ مِنْ مُنْطَلَقِ صِفَةِ الصَّلَاحِ الَّتِي فِي شَخْصِيَّتِهِ. لَكِنَّهُ أَيْضًا يَصْنَعُ بَعْدَلٍ. فَاللَّهُ الْقَدِيرُ لَنْ يُعَوِّجَ الْقَضَاءَ. كُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ، عَدْلٌ.

الآن، إِنْ كَانَ عَلَيْنَا طَرْحُ السُّؤَالِ التَّالِي عَلَى أَنْفُسِنَا: "مَا الَّذِي يَقُولُهُ إِلَيْهِ عَنِ مُعْضَلَةِ الْمُعَانَاةِ وَمُعْضَلَةِ الْأَلَمِ؟" فَأَنَا أَفْتَرِضُ أَنَّ أَلَيْهِ يَصْنَعُ أَمْرَيْنِ، وَكِلَاهُمَا يَنْدَرِجَانِ تَحْتَ أَمْرِ أُسَاسِيٍّ، وَهُوَ أَنَّ أَلَيْهِ يَرَى أَنَّ الْأَلَمَ عَامِلٌ تَعْلِيمِيٌّ وَتَأْدِيبِيٌّ. إِنْ أَحَدَ الْجَوَابِ وَرَاءَ مَنْطِقِ الْأَلَمِ، أَحَدَ جَوَابِ مَنْطِقِ سَبَبِ سَمَاحِ اللَّهِ بِالْأَلَمِ فِي حَيَاتِنَا، يَعُودُ إِلَى أَنَّهُ يَرْغَبُ فِي تَعْلِيمِنَا شَيْئًا. الآن، عَنِ أَيُّوبَ، لَقَدْ زَوَّدَنَا اللَّهُ مُسَبِّقًا بِتَقْيِيمِ عَنِ شَخْصِيَّةِ أَيُّوبَ. كَانَ رَجُلًا يَتَّقِي اللَّهَ. كَانَ يَجِدُ عَنِ الشَّرِّ. كَانَ مِثَالًا لِلْمُؤْمِنِ فِي جَمِيعِ طَرَفِهِ. فَاللَّهُ هُوَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، لِيَا نَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ انْكَارَهُ. لِيَا لَيْسَ بِإِمْكَانِنَا وَنَحْنُ فِي مُنْتَصَفِ الْقِصَّةِ أَنْ نَقُولَ، إِنْ جَازَ التَّعْبِيرُ، نَسْتَخْلِصُ بَعْدَ الرُّضُوحِ لِحُجَّةِ أَصْدِقَاءِ أَيُّوبَ الثَّلَاثَةِ بِأَنَّ سَبَبَ مُعَانَاةِ أَيُّوبَ يَتَمَثَّلُ، بِكُلِّ صَرَاحَةٍ، فِي أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ. أَيْ أَنَّهُ يَحْصُدُ مَا قَدْ زَرَعَهُ. إِنَّهُ أَحَدُ تَعْبِيرَاتِ عَدْلِ اللَّهِ وَدَيُونِيَّةِ وَعَظْمِيَّةِ بِسَبَبِ الْحُطْبِيَّةِ. لِيَا نَحْنُ لَا يُمْكِنُنَا الْإِسْتِسْلَامُ لِهَذِهِ الْحُجَّةِ. لَقَدْ ظَلَلْنَا حَامِلِينَ اعْتِرَافِ اللَّهِ طَوَالَ دِرَاسَتِنَا لِلْأَصْحَاحَاتِ السَّابِقَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ مَنْ قَالَ هَذَا فِي مُقَدِّمَةِ السَّفْرِ. لَكِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهُ قَصَدَ أَنْ أَيُّوبَ كَانَ بِلَا حُطْبِيَّةِ طَوَالَ سَرْدِ السَّفْرِ. نَحْنُ نَتَعَاظِفُ مَعَ أَيُّوبَ حِينَ نَقْرَأُ عَنْهُ فِي الْأَصْحَاحَاتِ الْأُولَى مِنَ السَّفْرِ، لَكِنَّ فِي مُنْتَصَفِهِ، قَدْ نَفَقِدُ هَذَا التَّعَاظِفَ مَعَهُ. تَقُولُ أَوْفِيلِيَا (Ophelia) فِي مَسْرَحِيَّةِ هَامِلْتِ (Hamlet) الَّتِي لِشَكْسْبِيرِ (Shakespeare) -: "إِنَّكَ لَا تَكْفُ عَنِ الْإِحْتِجَاجِ". كَمَا تَعْلَمُونَ، يَحْتَجُّ الْبَشَرُ وَيَعْتَرِضُونَ. ثُمَّ يَبْرُرُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَبَعْدَ

فَقَرَّةٌ: "كَفَى بَعْدُ! أَنْتُمْ كَثِيرُو الْإِحْتِجَاجِ". وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ، رَبِّمَا يَحْمِلُ أَيُّوبُ ثِقَلًا يَدْفَعُهُ إِلَى الْإِعْتِرَاضِ، وَإِلَى التَّمَادِي فِي الْإِحْتِجَاجِ بَعْضَ الشَّيْءِ. فِي الْوَاقِعِ، لَيْسَتْ الدَّعْوَى هِيَ الْخَاطِئَةُ، بَلْ طَرِيقَةُ عَرْضِهَا. إِذْ قَدْ بَدَأَ أَيُّوبُ بِطَرْحِ أَسْئَلَتِهِ، وَشَرَعَ يُؤَكِّدُ عَلَى حُقُوقِهِ. فَقَدْ تَوَقَّعَ أَنَّ اللَّهَ مُلْزَمٌ أَنْ يُجِيبَهُ عَنْ كُلِّ سُؤَالٍ يَطْرَحُهُ. بَلْ كَانَتْ تَوَقُّعَاتُهُ تَفُوقُ الْحُدُودَ الَّتِي عَلَى تَلْمِيذِ الْمَسِيحِ تُوقَّعُهَا. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ رَبِّمَا أَيُّوبُ بِلَا خَطِيئَةٍ بِمَفْهُومِ أَنَّهُ يَمْتَلِكُ دَعْوَى بَرَاءَةٍ مَرْفُوعَةً. وَهُوَ كَذَلِكَ حَقًّا. لَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ. لَكِنِ فِي أَثْنَاءِ فَتْرَةِ الْأَلَمِ ذَاتِهَا، ظَهَرَ شَيْءٌ جَدِيدٌ؛ لَقَدْ ظَهَرَ شَيْءٌ عَنِ شَخْصِيَّةِ أَيُّوبَ الْخَاطِئَةِ. لَقَدْ تَخَطَّى الْحُدُودَ وَتَفَوَّهَ بِأُمُورٍ، رَبِّمَا مَا كَانَ فِي بَدَايَةِ السَّفَرِ لِيُظَنَّ أَنَّهُ قَدْ يَتَفَوَّهَ بِهَا. لَقَدْ تَخَطَّى الْحَدَّ وَفَكَرَّ فِي أُمُورٍ، وَبَالَغَ فِي رُدُودِ أَفْعَالِهِ، وَاجَابَاتِهِ عَنِ الْأَلَمِ الَّذِي كَشَفَ شَخْصِيَّةَ أَيُّوبَ عَلَى نَحْوِ لَا يُسْرُهُ أَوْ يُرْضِيهِ. فَالْأَلَمُ كَثِيرًا مَا يَقُودُنَا إِلَى رُؤْيَا أُمُورٍ فِي دَوَاتِنَا.

دَعُونَا نَنْظُرْ إِلَى أَلِيهِو لِدَقِيقَةٍ. الْأَلَمُ قَدْ يَقُودُنَا إِلَى تَفْدِيرِ رَحْمَةِ اللَّهِ. إِذَنْ دَعُونَا نَنْتَقِلْ إِلَى الْأَصْحَاحِ ٣٣. إِنَّ الْأَصْحَاحِ ٣٢ عِبَارَةٌ عَنِ مُقَدِّمَةِ طَوِيلَةٍ مُنَمَّقَةٍ عَنِ أَلِيهِو، وَعِبَارَةٌ عَنِ تَبْرِيرٍ عَنِ سَبَبِ قَوْلِهِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي يَقُولُهَا، وَانْتِقَادٍ أَوْ انْتِقَادَيْنِ مُوجَّهَيْنِ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ الثَّلَاثَةِ. لِذَا، دَعُونَا نَبْدَأَ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٣:

وَلَكِنِ اسْمَعِ الْآنَ يَا أَيُّوبُ أَقْوَالِي، وَاصْعِ إِلَى كُلِّ كَلَامِي. هَأَنْذَا قَدْ فَتَحْتُ فَمِي. لِسَانِي نَطَقَ فِي حَنَكِي. اسْتِقَامَةً قَلْبِي كَلَامِي، وَمَعْرِفَةً شَفَتِي هُمَا تَنْطِقَانِ بِهَا خَالِصَةً. رُوحُ اللَّهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةَ الْقَدِيرِ أَحْيَيْتَنِي.

كَمَا تُلَاحِظُونَ، يُطِيلُ أَلِيهِو أَيْضًا الْحَدِيثَ الْمُتَمَّقَ.

إِنْ اسْتَطَعْتَ فَأَجِبْنِي. أَحْسِنِ الدَّعْوَى أَمَامِي. انْتَصِبْ. هَأَنْذَا حَسَبَ قَوْلِكَ عَوِضًا عَنِ اللَّهِ. أَنَا أَيْضًا مِنَ الطَّيِّبِ تَقَرَّرْتُ. هُوَذَا هَيْبَتِي لَا تُرْهِبُكَ وَجَلَالِي لَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ. إِنَّكَ قَدْ قُلْتَ فِي مَسَامِعِي، وَصَوْتَ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ. قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلَا ذَنْبٍ. زَكِيٌّ أَنَا وَلَا إِثْمَ لِي. هُوَذَا يَطْلُبُ عَنِّي عِلَلٌ عَدَاوَةٍ يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ. وَضَعَ رِجْلِي فِي الْمِقْطَرَةِ. يُرَاقِبُ كُلَّ طُرُقِي.

هَا إِنَّكَ فِي هَذَا لَمْ تُصِبْ. أَنَا أُجِيبُكَ، لِأَنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ. لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟ لِأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لَا يُجَاوِبُ عَنْهَا. لَكِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً، وَبِائْتَيْنِ لَا يُلَاحِظُ الْإِنْسَانُ. فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ، عِنْدَ سُقُوطِ سُبَاتٍ عَلَى النَّاسِ، فِي التُّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ. حِينِيذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ وَيَحْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ، لِيُحَوِّلَ الْإِنْسَانَ عَنِ عَمَلِهِ، وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ.

وإلى بَقِيَّةِ النَّصِّ.

الآن، إِذَا انْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَصْحَاحِ ٣٦ وَتَحْدِيدًا إِلَى الْآيَةِ ١٥، سَتَجِدُونَ أَنَّهُ يُكْرِّرُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ إِذْ يَتَكَلَّمُ عَنْ "يُنَجِّي الْبَائِسَ فِي ذَلِّهِ، وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ فِي الصَّبِيحِ". أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ إِذْ فِي الْآيَةِ ١٦ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٣ يَقُولُ: "حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ". وَفِي الْآيَةِ ١٥ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٦ يَقُولُ: "وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ فِي الصَّبِيحِ". هُنَا، مَاذَا يُرِيدُ أَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ؟ تَأْكُدُوا، لَقَدْ صُرِفَ الْكَثِيرُ مِنَ الْوَقْتِ لِيُوضَّحَ أَفْكَارَهُ. فَهُوَ يَتَّسِمُ بِالتَّطْوِيلِ الْمُنَمَّقِ. فَهُوَ إِنْسَانٌ يَتَّسِمُ بِالثَّقَةِ الْكَبِيرَةِ فِي نَفْسِهِ. فَأَنَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِي أَنَّهُ إِنْسَانٌ مُتَوَاضِعٌ. إِنَّهُ إِنْسَانٌ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ. فَهُوَ شَابٌّ وَمُتَهَوَّرٌ. شَابٌّ هُجُومِيٌّ فِي كُلِّ مَا يَقُولُهُ. لَكِنَّ، نَضَعُ كُلَّ هَذَا جَانِبًا لِلْحِظَّةِ، فَمَاذَا يَقُولُ أَلَيْهِ؟ يَقُولُ أَلَيْهِ إِنَّ الْأَلَمَ قَدْ يَفْتَحُ آذَانَكَ؛ قَدْ يُعَلِّمُكَ أُمُورًا عَنْ نَفْسِكَ؛ قَدْ يُعَلِّمُكَ أُمُورًا، يُعَلِّمُكَ أُمُورًا عَمَّنْ أَنْتَ حَقًّا، قَدْ يُعَلِّمُكَ أُمُورًا عَمَّا أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ. رُبَّمَا لَا تَرَى أَيَّ رَابِطٍ مُبَاشِرٍ بَيْنَ الْخَطِيئَةِ وَالْأَلَمِ، عَلَى أَنَّهَا مُسَبَّبُ هَذَا الْأَلَمِ فِي حَالَةِ أَيُّوبَ. قَدْ تَكُونُ دَعْوَى الْبَرَاءَةِ الَّتِي يَرْفَعُهَا أَيُّوبُ، دَعْوَى مَقْبُولَةٍ. فَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَا إِذَا كَانَ أَلَيْهِ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ، لَكِنَّ دَعْوَانَا لِلْحِظَّةِ نَعْتَبِرُهُ أَمْرًا مُسَلِّمًا بِهِ. فَمَا يَقُولُهُ أَلَيْهِ، فِي سِيَاقِ تَجْرِبَةِ الْأَلَمِ، إِنَّ رُدَّ فِعْلِكَ عَلَى الْمَعَانَةِ يَكْشِفُ أُمُورًا عَنْكَ، يَكْشِفُ أُمُورًا عَنْكَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهَا وَلَمْ تَكُنْ تَظُنُّ أَنَّهَا مُمَكِّنَةٌ. فَأَنْتَ تَجْرُؤُ عَلَى التَّفَوُّهِ بِكَلَامِ رَبِّمَا كُنْتَ تَسْتَنْكِرُهُ قَبْلَ اجْتِيَازِ التَّجْرِبَةِ. أَنْتَ تَجْرُؤُ عَلَى اسْتِخْلَاصِ اسْتِنْتِجَاتٍ مُعَيَّنَةٍ رَبِّمَا قَدْ أَنْكَرْتَهَا قَبْلَ اجْتِيَازِ التَّجْرِبَةِ. فَالْخَطِيئَةُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْكَشِفَ فِي خِصْمِ التَّجْرِبَةِ حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمُسَبَّبَ لِلتَّجْرِبَةِ.

نَعَمْ، نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ حِينَ نَحِلُّ الضَّيْقَ وَعِنْدَمَا تَقَعُ الْمَشَقَّةُ لَا يَكُونُ جَوَابًا دَائِمًا الْجَوَابُ الصَّائِبَ. فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ نُحِبُّ بِعَضَبٍ غَيْرِ عَادِلٍ. وَقَدْ نُحِبُّ بِالْقَاءِ التَّهْمِ. وَقَدْ نُشْكِكُ فِي صَلَاحِ اللَّهِ. وَقَدْ نُشْكِكُ فِي الْحَقِّ الْإِلَهِيِّ. فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ لَنَا حُقُوقًا. وَنَنْتَظِرُ مُتَوَقِّعِينَ مُعَامَلَتَنَا بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ. وَنَنْسَى أَنَّنَا مَخْلُوقَاتُهُ لِيَكُونَتْهَا وَيُشَكِّلَهَا وَيَفْعَلُ بِهَا حَسَبَ مَا يُرْضِي شَخْصَهُ. نَنْسَى أَنَّنَا عَلَيْنَا حَمْلُ الصَّلِيبِ وَاتِّبَاعُ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. أَلَيْسَ هَذَا مَا قَالَهُ حِينَ كَانَ فِي قَيْصَرِيَّةِ فِيلِئُسُ؟ اِحْمَلْ صَلِيبَكَ وَاتَّبِعْنِي. اِحْمَلْ أَدَاةَ مَوْتِكَ وَاتَّبِعْنِي. مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ؟ مَاذَا يَعْنِي أَنْ اِحْمَلْ صَلِيبِي؟ يَعْنِي أَنْ تُنْكَرَ نَفْسَكَ. يَعْنِي أَنْ تُنْكَرَ حُقُوقَكَ. يَعْنِي أَنْ تُنْكَرَ امْتِيَازَاتِكَ؟ يَعْنِي أَنْ تُنْكَرَ مَكَانَتَكَ، إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ، وَتَتَّبِعَ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، تَتَّبِعَهُ هُوَ.

فَلِذَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ أَلَيْهِ هُنَا، إِلَى هَذِهِ التَّجَارِبِ؛ فَالتَّجَارِبُ تُعَلِّمُكُمْ. وَالتَّجَارِبُ تُسَلِّطُ الضَّوْءَ عَلَى دُرُوسٍ لَمْ تَكُونُوا لَتَعَلَّمُوهَا بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى. كَمَا تَتَدَكَّرُونَ، فِي الْأَصْحَاحِ ١٢ مِنْ رِسَالَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، يَتَحَدَّثُ الْكَاتِبُ عَنْ أَنَّ التَّادِيْبَ مِنْ ثِمَارِ التَّجَارِبِ. "فَتَفَكَّرُوا" الْآيَةُ ٣ مِنْ الْأَصْحَاحِ ١٢:

فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخَطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ لِقَلَّا تَكَلُّوا وَتَحَوَّرُوا فِي نُفُوسِكُمْ. لَمْ تَقَاوَمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ، وَقَدْ نَسِيتُمْ الْوَعظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبِينِينَ.

ثُمَّ نَقَرَأُ اقْتِبَاسًا مِنَ الْآيَةِ ٧: "إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمْ اللهُ كَالْبِينِينَ". فَاللهُ لَا يُعَاقِبُكُمْ كَمَا لَوْ كُنْتُمْ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ؛ أَوْ كَمَا لَوْ كُنْتُمْ إِحْدَى قِطْعِ شَطْرِنُجِ الْكُونِ الشَّاسِعِ حَيْثُ لَا سَبَبَ وَلَا مَنْطِقَ، وَحَيْثُ لَا مَعْنَى لِجُدُوثِ أَيِّ أَمْرٍ. فَاللهُ يُعَامِلُكُمْ كَبِينِينَ. نَعَمْ، إِنَّ الْمُعَانَاةَ مُؤَلِّمَةٌ. نَعَمْ، الْأَلَمُ يَجْرَحُ وَيُؤْذِي. لَكِنَّ اللهَ يُؤَدِّبُنَا، يُؤَدِّبُنَا لِأَنَّ أَبْنَاءَهُ، أَنْتُمْ أَبْنَاءُهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُحِبُّكُمْ.

الآن، أَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْئًا مِنْ هَذَا قَدْ بَرَزَ هُنَا فِيمَا يَقُولُهُ الْيَهُو. رَبُّمَا يَدْفَعُنَا اللهُ إِلَى تَقْدِيرِ شَيْءٍ مَا مِنْ رَحْمَتِهِ. فَفِي الْآيَةِ ١٦ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٣٤ نَقْرَأُ:

فَإِنْ كَانَ لَكَ فَهْمٌ فَاسْمَعْ هَذَا، وَاصْعِ إِلَى صَوْتِ كَلِمَاتِي. أَلَعَلَّ مَنْ يُبْغِضُ الْحَقَّ يَتَسَلَّطُ، أَمْ الْبَارَّ الْكَبِيرَ تَسْتَدْنِبُ؟ أَيْقَالُ لِلْمَلِكِ: يَا لَعِيمٌ، وَلِلنَّدْبَاءِ: يَا أَشْرَارُ! الَّذِي لَا يُجَازِي بِوُجُوهِ الرُّؤْسَاءِ، وَلَا يُعْتَبِرُ مُوسِعًا دُونَ فَقِيرٍ. لِأَنَّهُمْ جَمِيعُهُمْ عَمَلُ يَدَيْهِ. بَعْتَهُ يَمُوتُونَ وَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ. يَرْتَجُّ الشَّعْبُ وَيَزُولُونَ، وَيُنزِعُ الْأَعْرَاءُ لَا بِيَدٍ.

لِأَنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى طُرُقِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ يَرَى كُلَّ خَطَايَاهِ. لَا ظَلَامَ وَلَا ظِلَّ مَوْتٍ حَيْثُ تَخْتَفِي عَمَالَ الْإِثْمِ. لِأَنَّهُ لَا يُلَاحِظُ الْإِنْسَانَ زَمَانًا لِلدُّخُولِ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ اللهُ. يُحَظِّمُ الْأَعْرَاءَ مِنْ دُونَ فَحِصٍ، وَيُقِيمُ آخِرِينَ مَكَانَهُمْ. لَكِنَّهُ يَعْرِفُ أَعْمَالَهُمْ، وَيُقَلِّبُهُمْ لَيْلًا فَيُنْسَحِقُونَ.

وَالِي بَقِيَّةِ النَّصِّ. فَقَدْ اسْتَرْسَلَ فِي حَدِيثِهِ. فَمَاذَا قَالَ؟ اسْتَرْسَلَ فِي الْمَرِيدِ مِنَ التَّعْلِيمِ عَنِ سِيَادَةِ اللهِ وَقُوَّتِهِ. فَمَا الَّذِي يَفْتَرِضُهُ الْيَهُو هُنَا؟ يَفْتَرِضُ الْيَهُو هُنَا أَنَّ أَيُّوبَ كَثِيرُ الْإِعْتِرَاضِ. الْإِمَامُ كَانَتْ أَدْنَاهُ مُصْغَبَةً؟ هَلْ إِلَى الْبِرِّ الدَّائِي؟ فَتَحْنُ، أَنْتُمْ وَأَنَا، مُتَشَدِّدُونَ وَنَمِيلُ إِلَى تَبْرِيرِ النَّفْسِ؛ أَوْ تَبْرِيرِ الدَّاتِ. إِنَّهَا فِطْرَةٌ فِينَا. إِنَّهَا بَدْرَةٌ أَدْمِيَّةٌ سَاكِنَةٌ دَاخِلَ كُلِّ إِنْسَانٍ فِينَا. فَالْيَهُو يَقُولُ رَبُّمَا إِنَّ الْقَصْدَ مِنْ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ هُوَ تَعْلِيمُكَ مِنْ جَدِيدٍ مَنْ هُوَ اللهُ، وَمَا هِيَ صِفَاتُهُ، وَتَعْلِيمُكَ مِنْ جَدِيدٍ عَمَّا قَلْبُكَ الْبَشَرِيُّ قَادِرٌ عَلَيْهِ. هَلْ حَقًّا التَّجَارِبُ تُعَلِّمُ ذَلِكَ؟ هَلْ الْأَلَمُ يُعَلِّمُ ذَلِكَ؟ إِنَّهُ يَكْشِفُ. كَمَا تَعْلَمُونَ، التَّجَارِبُ تَكْسِرُنَا وَتُحْطِّمُنَا. نُحْطِّمُنَا تَمَامًا، كَمَا تُشْعِرُنَا بِالْعَجْزِ التَّامِّ، إِذْ لَيْسَتْ لَنَا أَيُّ حُقُوقٍ وَلَا آيَةٌ امْتِيَازَاتٍ؛ فَتَحْنُ تُرَابٌ فِي يَدِي اللهِ الْقَدِيرِ وَصَاحِبِ السِّيَادَةِ وَكَلِّي الْقُوَّةِ.

انظُرُوا إِلَى الْأَصْحَاحِ ٣٦ وَتَحْدِيدًا الْمَقْطَعِ مِنَ الْآيَةِ ٢٦ إِلَى الْآيَةِ ٣٠ الَّذِي يَقُولُ:

هُوَذَا اللهُ عَظِيمٌ وَلَا نَعْرِفُهُ وَعَدَدُ سِنِيهِ لَا يُفْحَصُ. لِأَنَّهُ يَجْدُبُ قِطَارَ الْمَاءِ. تَسْحُ مَطَرًا مِنْ صَبَابِهَا  
الَّذِي تَهْطِلُهُ السُّحْبُ وَتَقْطُرُهُ عَلَى أَنْاسٍ كَثِيرِينَ. فَهَلْ يَعْطَلُ أَحَدٌ عَنْ شَقِّ الْعَيْمِ أَوْ قَصِيفِ مِظَلَّتِيهِ؟  
هُوَذَا بَسَطَ نُورَهُ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ يَتَعَطَّى بِأُصُولِ الْيَمِّ.

مَا الَّذِي يَقُولُهُ هُنَا؟ يُوَاصِلُ حَدِيثَهُ فِي الْأَصْحَاحِ ٣٧ إِذْ يَتَحَدَّثُ فِيهِ عَنِ الْعَوَاصِفِ الرَّغْدِيَّةِ وَالرَّالِجِ؛ فَإِنَّهُ يَبْدُو كَمَا  
لَوْ أَنَّهُ دَرَسَ فِي عِلْمِ الْمُنَاحِ.

أَتَذَكَّرُ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي بِلْفَاسْتِ، كُنَّا نَعِدُّ لِحِفْلِ مَدَارِسِ الْأَحَدِ، لِأَطْفَالٍ عَلَى الشَّاطِئِ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ. وَبِمَا أَنَّهُ فَصَلِ  
الصَّيْفِ فِي إِيرْلَنْدَا الشَّمَالِيَّةِ. فَدَرَجَاتُ الْحَرَارَةِ لَا يُمَكِّنُ تَوْفُقَهَا. كَمَا تَعْلَمُونَ، فِي أَيِّ أُسْبُوعٍ مِنْ فَصْلِ الصَّيْفِ رُبَّمَا  
يَكُونُ الطَّقْسُ مُشْمِسًا يَوْمِينَ، وَمُمْطِرًا فِي ٥ الْأَيَّامِ الْمَتَّبِقِيَّةِ، وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى تُمْطِرُ لِمُدَّةٍ قَدْ تَصِلُ إِلَى ٧ أَيَّامٍ. لِذَا،  
حِينَمَا تَرَعْبُونَ فِي الذَّهَابِ فِي نُزْهَةٍ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ فِي إِيرْلَنْدَا الشَّمَالِيَّةِ، عَلَيْكُمْ يَوْضِعُ حُطَّتَيْنِ: الْأُولَى إِنْ كَانَ الطَّقْسُ  
صَحْوًا، وَالثَّانِيَةُ إِنْ كَانَ مُمْطِرًا. لِذَا، سَيَتَعَيَّنُ عَلَيْكُمْ حَجْرُ قَاعَةٍ تَحْسَبًا لِلْمَطَرِ، إِذْ مَاذَا سَتَفْعَلُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ  
إِنْ أُمِطَرْتُمْ؟ لِذَا عَلَيْكُمْ حَجْرُ قَاعَةٍ كَبِيرَةٍ فِي مَكَانٍ مَا، وَهَذِهِ هِيَ الْحِطَّةُ الثَّانِيَّةُ. كُنَّا فِي اجْتِمَاعٍ مُنْتَصِفِ الْأُسْبُوعِ،  
وَرُحْنَا نُصَلِّي مِنْ أَجْلِ نُزْهَةٍ لِحِدْمَةِ مَدَارِسِ الْأَحَدِ حُطَّطَ لَهَا أَنْ نُقَامَ فِي نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ، يَوْمَ السَّبْتِ. وَكَانَتْ ذَشْرَةُ  
الْأَرْضَادِ الْجَوِّيَّةِ قَدْ تَنَبَّأَتْ بِسُقُوطِ أَمْطَارٍ. وَكَانَ فِي الْاجْتِمَاعِ خَادِمٌ مُتْقَاعِدٌ، مَعْرُوفٌ بِأَنَّهُ غَرِيبُ الْأَطْوَارِ بَعْضَ الشَّيْءِ،  
وَفِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ بَدَأَ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِ نُزْهَةٍ خِدْمَةِ مَدَارِسِ الْأَحَدِ، بِأَنْ يَجْعَلَ اللهُ الطَّقْسَ صَحْوًا وَمَا إِلَى ذَلِكَ. وَمِنْ  
تَمَّ فَجَاءَتْ تَذَكَّرُ نَشْرَةَ الْأَرْضَادِ الْجَوِّيَّةِ. وَانْدَفَعَ يَقُولُ فِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ: "مَنْ يَبْطُنُ مُذِيعُو ذَشْرَاتِ الْأَرْضَادِ الْجَوِّيَّةِ  
أَنْفُسَهُمْ؟ نَعَمْ، بِالطَّبِيعِ إِنَّهُمْ مُنْخَرِطُونَ فِي عَالَمِ الْعِلْمِ. "فَنَحْنُ نُتَمِّمُ خَلَاصَنَا بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيْنَا  
أَنْ نُرِيدَ وَأَنْ نَعْمَلَ مِنْ أَجْلِ الْمَسْرَةِ". نَعَمْ قَدْ أَنْشَى عِلْمٌ عَظِيمٌ لِلتَّنَبُّؤِ بِالطَّقْسِ. كَمَا أَنَّ أَرْضَادَهُمُ الْجَوِّيَّةَ تَزْدَادُ دِقَّتَهَا  
مِنْ يَوْمٍ لِآخَرَ. لَكِنَّ هَذَا الْحَادِمَ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ كُلِّيًّا وَقَرَّرَ أَنْ يَقُولَ إِنْ الطَّقْسُ يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ  
مُذِيعُو ذَشْرَاتِ الْأَرْضَادِ الْجَوِّيَّةِ لِيَتَنَبَّأُوا بِأَيِّ شَيْءٍ سِوَى الطَّقْسِ الرَّائِعِ الَّذِي تَمَنَّا هَذَا الْحَادِمُ؟

بِالطَّبِيعِ، اللَّهُ ذُو سِيَادَةٍ. اللَّهُ مُتَسَيِّدٌ. اللَّهُ قَدِيرٌ. الْآنَ، هَلْ أُيُوبُ كَانَ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ؟ بِالطَّبِيعِ أُيُوبُ كَانَ مُؤْمِنًا بِذَلِكَ. لَكِنْ  
مَا هِيَ تَطْبِيقَاتُ السِّيَادَةِ؟ إِنَّهَا تَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْكَ أَيُّ حَقٍّ فِي الرَّدِّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَهُوَ لَهُ السِّيَادَةُ فِي تَرْتِيبِ الْمَعْرِفَةِ،  
وَلَهُ السِّيَادَةُ فِي وَهْيِهَا لَكُمْ. فَهَنَّاكَ أُمُورٌ تَحْدُثُ، وَأَنْتُمْ فِي الْعَالِمِ لَا تَفْهَمُونَهَا، أُمُورٌ لَنْ تُدْرِكُوهَا. أَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ بَدَايَةَ  
حَدِيثِ أَلِيهَوِ كَانَتْ حَسَنَةً. وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثِهِ كَانَ مُتَبَجِّحًا. فَأَنَا أَرَاهُ مُتَهَوِّرًا. أَنَا أَرَاهُ مُبَالِغًا قَلِيلًا. لَكِنَّهُ  
يُقَدِّمُ لَنَا تَعْلِيمًا؛ تَعْلِيمًا جَدِيدًا، كَمَا أَعْتَقِدُ، بِأَنَّ الْأَلَمَ قَدْ يَكُونُ تَأْدِيبِيًّا؛ بِأَنَّ الْأَلَمَ قَدْ يَكُونُ تَعْلِيمِيًّا؛ بِأَنَّ الْأَلَمَ  
يُدْخِلُنَا إِلَى إِدْرَاكِ جَدِيدٍ لِمَنْ هُوَ اللَّهُ؛ وَإِدْرَاكِ جَدِيدٍ لِمَا هِيَ الْحَيَاةُ.

في المُحَاضِرَةِ السَّابِقَةِ فِي الْأَصْحَاحِ ٢٨ مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ، أَتَذْكُرُونَ السُّؤَالَ الَّذِي طَرَحَهُ أَيُّوبُ؟ أَمَّا الْحِكْمَةُ فَمِنْ أَيْنَ تُوجَدُ؟ تُوجَدُ الْحِكْمَةُ حَيْثُمَا اللَّهُ؛ تُوجَدُ الْحِكْمَةُ بِالْخُضُوعِ لِلَّهِ؛ تُوجَدُ الْحِكْمَةُ بِالْخُضُوعِ لِطَرِيقِهِ. إِذْنًا، مَاذَا تَعَلَّمْنَا التَّجَارِبُ؟ تَعَلَّمْنَا بِأَنَّ أَفْكَارَهُ لَيْسَتْ أَفْكَارَنَا، وَلَا طُرُقُهُ طُرُقُنَا. لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ أَعْمَقَ دُرُوسِ سِفْرِ أَيُّوبَ، فَالْيَهُو لَمْ يُعَبِّرْ عَنْهُ، كَمَا أَعْتَقِدُ، بِالطَّرِيقِ الْمُثَلِّ الَّتِي تُنَاسِبُ عُمُقَهُ. لَكِنَّهُ يَضَعُنَا، إِنْ جَارَ التَّعْيِيرُ، فِي مُنْعَطِفٍ فِي سِفْرِ أَيُّوبَ عِنْدَ الْأَصْحَاحِ ٣٨، الْأَصْحَاحِ الَّذِي سَيَكُونُ مَوْضُوعَ دِرَاسَتِنَا مَعًا فِي الْمُحَاضِرَةِ الْقَادِمَةِ.